الإحالةُ المَقاليَّةُ فِي دِيوانِ الشَّريفِ الغَرنَاطِيِّ

(دِراسة في ضوء علم اللغة النصي)

The textual reference in the Diwan of Poetry Al-Sharif Al-Gharnati

(A study in the light of textual linguistics)

إعداد

د. أحمد محمد ربيع حسن

Dr.Ahmed Mohamed Rabie Hassan

الدكتوراه تخصص (أدب أندلسي) - جامعة الزقازيق

Doi: 10.21608/mdad.2022.213048

الاستلام : ٢/١١/٢٠٢١م **القبول : ٢٢ / ١١ /٢٠٢١م**

حسن ، أحمد محمد ربيع (٢٠٢٢). الإحالةُ المَقاليَّةُ فِي دِيوانِ الشَّريفِ الغَرنَاطِيّ(دِراسة في ضوء علم اللغة النصيّ)، ***المجلة العربية مـــداد***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٦ (١٦)، ١٦٧ – ١٨٦.

الإحالةُ المَقاليَّةُ فِي دِيوانِ الشَّرِيفِ الغَرنَاطِيّ
(دِراسة في ضوء علم اللغة النصيّ)

المستخلص:

حِينَ يَنبِري أحدُنَا مُشَمِّرًا سَاعِدَ الجِدِّ عَن حلِّ مُشكَلاتِ نصٍّ ما مِن نُصُوصِ الأدبِ العَرَبيِّ قديمِه وحديثِه؛ فلا مندوحةَ لَه عن الإبانةِ عن الوُجُوهِ المُتآلِفةِ والمُتخالفةِ التي اشتملَ عليها ذلكَ النَّصُّ في تضاعيفِه، والتي أدَتْ بِدَورِها إلَى اتِّصالِ بعضِ عَناصرِه المُقِيمَةِ لِبنائِه ببعضٍ لتأطيرِ كافَّةِ أجزائِه بالواشائجِ الحميميَّةِ التي تَمنحُه قُوَّةً وتماسُكًا؛ مِن أجلِ بُلوغِ المُحصِّلاتِ التَّحليليةِ التي أثَّرتْ في صياغةِ مقاصدِه، وبناءِ أفكارِه لدَى صاحبِه مِن خَلالِ النَّظرياتِ المَنهجيَّةِ التي تتَّسقُ وهيئةَ تكوينِه وُصولًا إلَى الغرضِ مِنه، وقد اعتنَى الدَّرسُ اللسانيُّ النَّصيُّ الحديثُ مِن خلالِ (نظريةِ الإحالةِ) أيَّما اعتناءٍ بِجَوهرِ تلكَ العلاقاتِ النَّصيَّةِ في صُورتِها اللُّغويَّةِ بما تعكسُه مِن آثارٍ بارزةٍ علَى الرَّوابطِ المُسهِمَةِ في تألُفِ أجزائِه، وإظهارِ أوجُهِ الاتِّساقِ بينَ فِقراتِه، وُقوفًا علَى مدَى ما يُحقِّقُه ذلك الارتباطُ مِن وُحدَويَّةٍ بينَ تلكَ الفِقْراتِ الراجعةِ في أساسِها إلَى تجسيدِ معانِي النصِّ - بوصفِه كونًا واحدًا- بِصورةٍ شُموليَّةٍ تُعَيِّنُ الأصليَّ مِنَ الزائدِ، وذلكَ بِرَدِّ كلِّ عُنصرٍ فيها إلَى أصلِه الَّذي تفرَّعَ عليهِ ونشأَ عنْهُ. ومِن ثَمَّ تأتي الإحالةُ النَّصيَّةُ بِدَوْرِها الوظيفيِّ المَنوطِ بِه تحقيقُ العلاقاتِ التي تجمعُ بينَ سوابقِ الكلامِ ولواحقِه، وتحديدُ الرّوابطِ التي تُوثِّقُ كُلًّا مِن ذلك بِبعضِه بحَسبِ موضِعِه من الفِقراتِ علَى رأسِ تلكَ المَهامِّ التي يعملُ الدرسُ اللسانيُّ الحديثُ على بيانِها مِن خلالِ وضعِ كافَّةِ مُقوِّماتِها اللُّغويَّةِ محلَّ النَّظرِ في عيْنِ الاعتبارِ؛ تمكينًا للمعاني في أذهانِ المُتلقِّيْنَ، وتهيئةً لهم لقبولِها، وتعزيزًا لَها في مساقاتِها المُستَقِلَّةِ والمُتَناصَّةِ، ومِن حيثُ كانتِ الإحالةُ النَّصَّيَّةُ (المقاليَّةُ) مُفضيةً إلَى تعيينِ الأواصرِ اللُّغويَّةِ الجَامعةِ لِشعثِ العباراتِ، المَانعةِ من تبدُّدِها في كلِّ وجهٍ أمكَنَنَا الحُكمُ عليها بأنَّها مِمَّا لا بدَّ أن يَكونَ علَى رأسِ كلِّ عملٍ نقديٍّ؛ فلا يُصارُ إلَى تحليلِ نصٍّ ما -نظيمًا كانَ أو نثيرًا- ما لم تكنِ الإحالةُ النَّصِّيَّةُ سابقةً علَى كلِّ منهجٍ يحدِّدُه النَّاقدُ لخوضِ تجربتِه النَّقديَّةِ معَ هذا النصِّ/ فهي المَعنيَّةُ بالحُكمِ الأوَّليِّ علَى أيٍّ مِن النُّصوصِ بالتَّماسُكِ والاتِّساقِ أو التَّنافُرِ والانفِلاقِ.

كلمات مفتاحية: الإحالة، علم اللغة النصي، الشريف الغرناطي،الإحالة النصية.

Abstract:

The textual transferral, in its functional role, investigates the links between the antecedents and appendices of words in the poetic texts of the Honorable poet, and identifies the links which each documents according to its placement in the paragraphs on

which modern linguistic study takes place, taking into account all of its linguistic components; To enable the meanings in the minds of the recipients, to prepare them for their acceptance, and to promote them in their independent and accessible courses, the textual transliteration would lead to the assignment of the textual links of the phrases, which we could judge to be dissipated in every aspect of each critical work; The analysis of a text, whether systematic or prose, does not take place unless textual referral precedes every critical experience that the critic determines through this critique - it is concerned with making initial judgments on any text on consistency or inconsistency.

Keywords: Referral, textual linguistics, Al-Sharif Al-Gharnati, textual reference.

تَقديمٌ:

هذا وقدِ قادنَا البحثُ في تلكَ القضيَّةِ اللسانيَّةِ الشَّائكةِ إلَى التَّنويعِ مِن طَرائقِ البَحثِ المُوضوعيَّةِ بينَ وصفيٍّ تارةً وتحليليٍّ أُخرَى لِتنوّعِ نتاجاتِها النَّقديَّةِ، واختلافِ مَصَابّها التي استقينا منها مادَّتَها، لِحَيثُ أفدنَا فيها مِن مصدَرِها الأمِّ عندَ الحداثيّينَ مِن خلالِ تلكَ المُحاضراتِ المُتفرّقةِ في اللسانيَّاتِ الحديثةِ لِـ(دي سوسير) والتي ألقاها عامَ ١٩١٦، وبينَ ما هوَ مِن أُصولِها الجِذريَّةِ عندَ العربِ في كلٍّ من علمِ النَّحوِ وعِلمِ المعانِي تحقيقًا لتمامِ الغايةِ، وبيانًا لأثرِها في دعمِ النُّصوصِ بما يُحقّقُ المغزَى المنشودَ مِن إنشائِها عندَ أصحابِها؛ فيقفَ المُتلقّي مِن النَّصِّ موقفًا مُحايدًا يُفصِحُ عن رغبتِه في إظهارِ خوافِي النَّصِّ ويستَظهِرُ بِه مُستَبطَنَاتِه مُحاكيًا بذلكَ بينَ عناصرِ النصِّ وما صِيغَ مِن أجلِه مِن غيرِ تَوثُّبٍ عليهِ ولا خَوضٍ في جدليَّاتٍ لا طائلَ مِن ورائِها.

حدود الدراسة ومادتها:

١) تتخذ من شعر الشريف الرضي مادةً ومصدرًا رئيسًا لها.
٢) تتخذ من مستويات التحليل النصي عند الشاعر موضوعًا لها، وتتمثل تلك المستويات في للنص والعلاقات الدلالية(القبلية، والبعدية)، حيث تتضافر تلك المستويات النصية في بناء النص الشعري عند الشَّاعر من تناوله قضية من أهم القضايا النقديَّة الحديثة التى تناولها النقاد فى السنوات الأخيرة.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- تكمن أهمية الموضوع في أنه سيتتبع أحد المعايير النصية التي نص عليها علماء اللغة النصيّ.

٢- الكشف عن السمات النصية من خلال الإحالة القبلية والبعدية، وكيفية عملها في الكشف عن جوانب فنية جديدة في شعر الشريف الغرناطي، تنبع من بناء النص، وتحقق ترابطه.
٣- الوصول إلى رؤية شمولية، وموضوعية في التعامل مع النص الشعري؛ وما يتضمنه من أنواع الإحالة.
٤- وتهدف الدراسة إلى أن يكون إسهامًا جادًا في الكشف عن وسائل التماسك النصي، ودور الإحالة في شعره.

المنهج المتبع في هذا البحث

يعتمد هذا البحث في منهجه على المنهج الوصفي التحليلي؛ حيث يتم وصف النص الشعريّ؛ لإبراز الوسائل المتتبعة؛ كي يحقق التماسك والترابط الإحاليّ ؛ ومن ثم يبدأ تحليل البناء اللغوي للنص للكشف عن بنياته الصغرى، ولكي يتحقق للبحث منهجيته العلمية؛ وقع الاختيار على الشاعر الغرناطي الشريف الرضي، فيعد هذا العصر من أخصب عصور الأدب في الأندلس على الإطلاق؛ بسبب تشجيع الأمراء للأدب والعلم.

وقد أوقعتُ الاختيارَ في إجراءِ الدراسةِ التَّحليليَّةِ وفقَ نظريَّةِ (الإحالةِ المقاليَّةِ) مِن الدَّرسِ اللِّسانيِّ علَى ديوانٍ صَغِيرِ الحَجمِ قلَّما تعرَّضَ لهُ أحدٌ مِن الأقرانِ في محكِّ التَّلَقِّي بالنِّقدِ والتَّحليلِ، هذا الدِّيوانُ للشَّرِيفِ الغرناطيِّ (٦٩٧-٧٦٠هـ) وهُو أحدُ شُعراءِ الأندلُسِ الغَرناطِيِّينَ، فجاءَ تبعًا لِمَا تُوجِبُه تقسِمَاتُ الدِّراسةِ علَى وَفْقِ ما يلي:

١) **المبحثُ الأوَّلُ:**
٢) (التَّعريفُ بالشَّاعرِ، وعصرِه، وديوانِه)
٣) (المفاهيمُ اللِّسانيَّةُ العامَّةُ): مفهومُ الإحالة لغة واصطلاحًا.
٤) **المبحثُ الثَّانِي**: (مَوضوعُ الدِّراسةِ مُقسَّمًا بِحَسَبِ أنواعِ الإحالةِ إلَى قبليَّةٍ وبَعديَّةٍ)
٥) **الخاتمةُ:** (وفيها أهمُّ ما توصَّلتْ إليهِ الدِّراسةُ مِن أبرَزِ النتائجِ)

الدراسات السابقة

لم يجد الباحث – فيما وقف عليه من مصادر ومراجع- أحدًا من الباحثين تناول الإحالة لدي الشاعر الشريف الرضي في إطار علم اللغة النصي، وأنواع الإحالة.

أولا: التعريف بالشاعر

وُلد بسبتة[١] التي كانت يومئذ «بصرة علوم اللسان» على حد تعبير ابْن الْخَطِيب[٢]

(١) سبتة : مدينة تقع على مضيق جبل طارق، وكانت منفذ العدوة على الأندلس وركيزة من ركائز العلم في المغرب، المقّري: أزهار الرياض، ج٢، ص ٣٢٥، ٣٥٦.
(٢) هو ذو الوزارتين "لسان الدين، أبوعبد الله، محمّد بن عبد الله السلمانى" المعروف بـ "ابن الخطيب"، عاش فى القرن الثامن الهجرى فى الأندلس والمغرب. قال المقرى: "سمعت

سادس ربيع الأول من عام (٦٩٧ هـ) ، و بها اشتدَّ عوده، و تلقى علومه عن جلة من علماء زمانه[٣].

وكان الشريف فطنا حلو المعاشرة، حسن المداراة، معتدل الطريقة، حاضر الذهن، فصيح اللسان، و«كان له في المجالس الملكية من جلالة الأبهة، و ملازمة التؤدة، وإمساك النفس عند المسارعة عن المخالفة إلى المراجعة، ما لم يكن لغيره من أهل طبقته» مما جعله ينتظم في سلك الحضرة النصرية مذ وطئت قدماه أرض الأندلس في عهد خامس ملوك بني نصر (أبو الوليد، إسماعيل الأول بن فرج بن محمد الأول، توفي سنة ٧٢٥هـ) [٤] تصدر أول عهده للإقراء و التدريس بمالقة وَمَالَقَةَ[٥].

شيوخه:

تلقى علومه الأولى بسبتة، حيث ولد ونما عوده، فقرأ على أبيه أبي العباس القرآن الكريم، وجل علماء سبتة كأبي عبد الله بن هانئ[٦]، وغيرهم.

بالمغرب بعض الرؤساء يقول: "لسان الدين ذو الوزارتين، وذو العمرين، وذو الميتتين، وذو القبرين" نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق : إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧م، ٨٠/٥. ومن المؤلفات التي ترجمت له ترجمةً وافية: الدار الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلانى، دار الجيل: بيروت، ١٩٩٣م، ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، لأحمد المقري، تحقيق: الأستاذ محمد محى الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة، ط ١، ١٩٤٩م، القسم الثانى كله، وأزهار الرياض في أخبار عياض، لشهاب الدين المقري، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٩م، ١٣٦/١.

(٣) معيار الاختيار، ابن الخطيب، ص ١٤٦.

(٤) ديوان جُهدِ المُقِل للشريف الغرناطي(٦٩٧-٧٦٠هـ) صنعه، د. أيمن محمد ميدان، أستاذ بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مؤسسة جائزة مركز البابطين، الطبعة الأولى، دار الوفاء، ص١٤.

(٥) (مَالَقَة): مدينة على شاطئ البحر، عليها سور صخرٍ، والبحرُ في قِبْلَتها، وهي حسنة عامرةٌ آهلةٌ، كثيرة الديار، وجميع جهاتها شجر التين المنسوب إليها، وهي تحمل إلي مصر والعراق، وربَّما وصل للهند، يُنظر: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص١٧٧، ١٧٨ .

(٦) هو محمد بن علي بن هانئ اللخمي السبتي، يكنى أبا عبد الله، أصله من إشبيلية، وكان ينتمي إلى البيت شهير الحسب والجلالة، كان عالما بالعربية، كثير القناعة، حافظا لمروءته، وصون ماء وجهه، باريع الخط، متوسط النظم، خلف تراثا أبدع فيه، وتنافس الناس عليه، فشرح كتاب التسهيل لابن مالك، ودون ترسيل رئيس الكتاب أبا المطرف بن عميرة في سفرين، وله أيضا الغرة الطالعة في شعراء المائة السابعة، وإنشاد الضوال وإرشاد السؤال في لحن العامة، ورجز في الفرائض . توفي شهيدا بجبل الفتح أواخر ذي قعدة من عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة: الإحاطة في أخبار غرناطة/ ابن الخطيب.

وفاته:

أجمعت المصادر التي ترجمت له على أنه لقي ربه وهو قاضي الحضرة النصرية (غرناطة)، وإن اختلفت حول سنة وفاته، فبينما ذهب ابن الخطيب إلى أنه مات في أوائل شعبان من عام ستين وسبعمائة، وزاد النباهي الأمر دقة عندما حدد موعد موته بدقة، فحصره في « ضحى يوم الخميس، الحادي والعشرين لشهر شعبان عام ستين وسبعمائة»[٧] على حين ذهب تلميذه ابن قنفذ، الذي قال فيه: «لم يكن أحد بعده مثله بالأندلس» إلى أنه من وفيات سنة ٧٦١ هـ) [٨].

ثانيًا (المفاهيمُ اللّسانيَّةُ العامَّةُ): مفهومُ الإحالة لغة واصطلاحًا

مفهوم الإحالة لغةً واصطلاحًا:

أ- **لغـة:** ورد في لسان العرب: "والمحال من الكلام: ما عُدِل به عن وجهه، وحوّله : جعله محالاً. وأحال أتى بمحالٍ ورجل محوال : كثير محال الكلام،...وتحول عن الشئ: زال عنه إلى غيره ... حال الرجل يحول مثل تحوّل من موضع إلى موضع. الجوهري: حال إلى مكانٍ آخر أي تحول"[٩].

وفي المعجم الوسيط: "أحال: مضى عليه حول كامل. والدار تغيرت وأتى عليها أحوال... والشيء أو الرجل: تحول من حال إلى حال... والشيء: نَقَلَه"[١٠]

ويمكن القول بناءً على ما سبق أن مصطلح الإحالة مأخوذ من الفعل (أحال)، وهو بمعنى التغير والتبدل، "والتحول والتغير ونقل الشئ من حال إلى أخرى لا يتم إلا في ظل وجود علاقة قائمة بينهما، تلك العلاقة هي التي سمحت بالتغيير"[١١]

ب- **أما الإحالة في الاصطلاح :** يشير روبرت دي بوجراند إلى الإحالة بأنها العلاقة بين العبارات من جهة، وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير إلى العبارات[١٢]

هي أحدى عناصر الاتساق يعرّفها دي بوجراند ''بأنها العلاقة بين العبارات من

---

(٧) الإحاطة، ابن الخطيب، ج٢ ، ص ١٦٧، وينظر : تاريخ قضاة الأندلس، ص ١٧٧ .

(٨) نفح الطيب، للمقّري، ج٥، ص١٩٦ .

(٩) لسان العرب، ابن منظور، مادة (حول)..

(١٠) المعجم الوسيط ، معجم اللغة العربية، مادة (حول).

(١١) الإحالة بالضمائر ودوها في تحقيق الترابط في النص القرآني، دراسة وصفية تحليلية، نائل محمد إسماعيل، مجلة جامعة الأزهر بغزة، مج ١٣ ،ع١ ، ٢٠١١م ، ص١٠٦.

(١٢) النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند ، ص ١٧٢

جهة وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات''[١٣].

من جهة أخرى، ويعرّفها الأزهر الزناد بأنها قسم''من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب''[١٤]. وقد أشار عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) من دون قصد إلى مفهوم الإحالة، عندما مثّل بقولهم: ''جاءني زيدٌ وهو مسرع'' فهو من حيث الدلالة واللفظ نظير قولهم ''جاءني زيدٌ وزيدٌ مسرع''، وعلل هذا لـ''أنك إذا أعدت ذكر(زيد) فجئت بضميره المنفصل المرفوع، كان بمنزلة أن تُعيد اسمه صريحاً''[١٥].

والإحالة النصية: يعرفها الأزهر الزناد بأنها إحالة داخلية'' على العناصر اللغوية الواردة في الملفوظ، سابقة كانت أو لاحقة، في إحالة نصية''[١٦]، ولهذا النوع من الإحالة مكانة كبيرة ومباشرة في صنع نسيج النص وتحقيق التماسك، وتُقسَّم الإحالة النصية إلى[١٧]

١) - إحالة على سابق (قبلية)، وهي الإحالة التي تعود على مُفسّر سبق التلفظ به، وهي الأكثر وروداً، وفيها يجري تعويض اللفظ المذكور مسبقاً، والذي كان من المفترض أن يظهر، لكن الضمير أغنى عن ذلك.

٢) - إحالة على لاحق (بعدية) وتعود هذه الاحالة على لفظ متأخر، وهي قليلة الاستعمال، ومثالها في العربية (ضمير الشأن) [١٨]

---

(١٣) النص والخطاب والإجراء: روبرت دي بوجراند، ترجمة : د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ص: ١٧٢.

(١٤) نسيج النص (بحث فيما يكون الملفوظ فيه نصاً، الأزهر الزناد، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٣م.ص: ١١٨ ، و يُنظر : علم لغة النص (النظرية والتطبيق)، د. عزة شبل محمد، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م، ص :١١٩.

(١٥) في نظرية الأدب وعلم النص (بحوث وقراءات)، إبراهيم خليل، الدار العربية للعلوم - ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.ص : ٢٣٣-٢٣٤، ويُنظر : دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، شركة القدس، مطبعة المدني، بمصر، ط٣، ١٩٩٢م، ص: ٢١٥.

(١٦) نسيج النص، ص : ١١٨.

(١٧) نحو النص (اتجاه جديد في الدرس النحوي)،د. أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١، ٢٠٠١، ص: ١١٧ ، و أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية (تأسيس نحو النص)، محمد الشاوش، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط١٤٢١،١هـ - ٢٠٠١م، ص: ١٢٥/١.

(١٨) نسيج النص : ١١٩.

ويشير أحمد عفيفي عن أركان الإحالة فقسّمها إلى أربعة أقسام [١٩]:

١- **المتكلم أو الكاتب صانع النص:** وبقصده تتم إحالة الى ما أراد؛ إذ يشير علماء النص إلى أن الإحالة عمل إنساني[٢٠].

٢- **اللفظ المحال:** وهذا العنصر الإحالي ينبغي أن يتجسّد إما ظاهراً و إما مقدراً، كالضمير أو اسم الإشارة، وهو الذي سيحولنا ويغيرنا من اتجاه إلى اتجاه خارج النص أو داخله.

٣- **المحال عليه:** وهو موجود إما خارج النص أو داخله من كلمات أو دلالات، وتفيد معرفة الإنسان بالنص وفهمه في الوصول الى المحال عليه.

٤- **العلاقة بين اللفظ المحال والمحال عليه:** والمفروض أن يكون التطابق مجسداً بين اللفظ المحال والمحال عليه؛ وكما أشرنا إليه مسبقاً .

أما دافيد كريستال فيرى أن مصطلح الإحالة "يعبر به غالبًا عن علاقة التعريف التي توجد بين الوحدات النحوية، كأن يحيل ضمير إلى اسم أو جملة اسمية"[٢١].

ويشير سعيد بحيري في تعريفه للإحالة إلى الدور الثاني الذي تقوم به الإحالة في تشكيل البنية الكلية للنص، فيرى أن الإحالة "إحدى الأبنية التي تتشكل منها البنية الكلية للنص، فالبنية النصية نظام من البنى، كل بنية لها قواعدها الخاصة، تقيم بها وجهًا من وجوه النص"[٢٢].

أركان الإحالة:

١) **المحيل:** وهو عبارة عن العناصر اللغوية ظاهرة أو مقدرة؛ كالضمير والإشارة والموصول، وهو الذي يحيل القارئ إلى اتجاه داخل النص أو خارجه.

٢) **المحال إليه:** وهو عبارة عن العناصر اللغوية التي يحيل إليها المحيل، وهو موجود إما داخل النص أو خارجه من كلمات أو عبارات أو دلالات.

٣) **التحاول:** وهو عبارة عن الروابط اللسانية بين المحيل والمحال إليه،

---

(١٩) الإحالة في نحو النص، أحمد عفيفي، (كتاب الكتروني)، على الرابط:
http://www.mohamedrabeea.com/books/book1_1246.pdf.١٦ص :

(٢٠) النص والخطاب والإجراء : ١٧٣.

(21)A dictionary of linguistics and phonetics، David crystal، Blackwell publishing malden - USA.sixth Edition، 2008، P.407

(٢٢) دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، سعيد بحيري، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط١ ، ٢٠٠٥ ، ص ٩٦ ، ٩٧

وينبغي أن تقوم على التطابق بين المحيل والمحال إليه(٢٣).

عـناصر الإحـالة :

الضمير: تعد الضمائر إحدى وسائل الإحالة، دلالتها غير ثابتة، فيلمح أنَّ (سيبويه) (ت١٨٠هـ) أوضعها ضمن الأسماء المبهمة(٢٤).

ويقول (ابن يعيش) (ت٦٤٣هـ): ''والمضمرات كلّها كنايات عمّا تقدمها من الظّواهر''(٢٥)، أي إنَّ ''الضمائر جميعاً مفتقرة إلى قرائن باعتبارها شرطاً أساسياً لدلالتها على معين''(٢٦)

ضمائر الغيبة وهي الضمائر التي تُسهِم في تناسق النص واتساقه، وتدخل ضمن (الإحالة النصية) (٢٧).

أسماء الاشارة: هي أسماء مبهمة كما قال سيبويه (ت١٨٠هـ)، إذ قال: ''فأما المبنيّ على الأسماء المبهمة فقولك: هذا عبدُ الله منطلقاً، وهؤلاء قوُمك منطلقينَ، وذاك عبدُ الله ذاهباً معروفاً. فهذا اسمٌ مبتدأ يبنى عليه ما بعده وهو عبد الله. ولم يكن ليكون هذا كلاماً حتى يبنى عليه أو يبنى على ما قبله''(٢٨).

الأسـماء الموصـولة : لا تختلـف الأسـماء الموصـولة عـن الضـمائر و أسـماء الإشـارة، فـي كونهـا لا تعـين دلالتهـا إلا بموجـود، فـهي ضـرب مـن المبهمـات؛ لوقوعهـا علـى كـل شـيء مـن حيـوان وجمـاد(٢٩) ، "ويعـد الاسـم الموصـول أداة واضـحة مـن أدوات الإحالـة التـي تعمـل علـى تماسـك الـنص وترابطـه؛ وذلـك لكونـه يحـدد دور المشـاركين فـي الزمـان والمكـان، داخـل المقـام الإرشـاري، وتتحقـق إشـاريته إذا مـا دل مـع صـلته مـع ذات أو مفهـوم جـرت الإحالـة عليهـا بعـد ذكـره فـي

(٢٣) الإحالة في نحو النص، دراسة في الدلالة والوظيفة، أحمد عفيفي، ص ١٦

(٢٤) كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(ت١٨٠هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م، : ج٢ ، ص ٧٨.

(٢٥) شرح المفصل، موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي (ت٦٤٣هـ)، قدم لـه ووضـع هوامشـه وفهارسـه د. اميـل بـديع يعقـوب، دار الكتـب العلميـة، بيـروت-لبنـان، ط١، ٢٠٠١م، ج١، ص١٤٦.

(٢٦) اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسّان، دار الثقافة، ١٩٩٤م، ص: ١١٠.

(٢٧) لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط٢، ٢٠٠٦، ص: ١٨.

(٢٨) الكتاب : ٧٨/٢.

(٢٩) شرح المفصل : ٣٧٢/٢ ، و معاني النحو : ١١٢/١.

النص[٣٠]".

المَبحثُ الثَّاني

أنواعِ الإحالةِ في شعر الشريف الغرناطي وتقسم إلَى قبليَّةٍ وبَعديَّةٍ

● يَقولُ الشَّريفُ الغرناطِيُّ مِن دِيوانِه[٣١] (من بحرِ الوافرِ)

حدائقُ أنبتتْ فيها الغوادِي ضُروبَ النُّورِ رائقةَ البهاءِ

ففي هذا البيتِ كما لا يخفَى ضربانِ مِن ضُروبِ (الإحالةِ المَقاليَّةِ).

الأُولَى منهما (بعديَّةٌ) تشكَّلَتْ مِن المُحيلِ المَحذوفِ قبلَ قولِه فِي أَوَّلِ البيتِ (حدائقُ)، والمُحالِ إلَيهِ (حَدائقُ) الواقعةِ خبرًا عن هذا الاسمِ المحذوفِ الذي قدَّرناهُ باسمِ إشارةٍ، وانعفادُ تلكَ الإحالةُ مِن حيثُ قدَّرنَا (حدائقُ) هذِه خبَرًا عن محذوفٍ كان الأليقَ بهذا المبتدإِ المحذوفِ أنْ يكونَ اسمَ إشارةٍ مُقدَّرًا بِـ(هذِي) أي (هذِي حدائقُ)، معَ جوازِ عدِّ المحذوفِ ضميرًا بتقديرِ (هي حدائقُ) غيرَ أنَّ تقديرَ اسمِ الإشارةِ أبلغُ في مثلِ ذلكَ المقامِ، والقضيَّةُ معَ الإشارةِ والإضمارِ واحدةٌ، وعلَى ذلكَ فإنَّ الإحالةَ المَقاليَّةَ هُنا (بعديَّةٌ)، بينما عَـــدُّ كلمةِ (حَدائقُ) مُبتدأً مُخبَرًا عنهُ بقولِه: (أنبتَتْ فيها الغوادِي...إلخ) فلا إحالةَ إذن في هذا المقامِ.

وأركانُها فيما نحنُ آخذِينَ في الإبانةِ عنهُ علَى هذا النَّحوِ:

المحيلُ/ اسمُ الإشارةِ المُقدَّرِ الواقعِ مُبتدأً (هذي)

المُحالُ إليهِ/ الخبرُ الموجودُ (حدائقُ) معَ ما بعدَها (أنبتتْ فيها الغوادِي)؛ إذ لا يتحقَّقُ المُعنَى إلَّا بتمامِ أركانِ الكلامِ، لأنَّ ((أنبتتْ فيه...إلخ) قيدٌ ظاهرٌ في عُمومِ التَّركيبِ، وحذفُه أو عدمُ الاعتدادِ بِه قادحٌ في الجُملَةِ كُلِّها.

قرينةُ الحذفِ والتَّقديرِ/ ضرورةُ حاجةِ الخبرِ إلَى ما يُخبَرُ بِه عنه، وحيثُ لم يكن للمبتدإِ وجودٌ؛ فكان لزامًا تقديرُه، وتقريرُه بحسبِ مُقتضيَاتِ المقامِ.

عملُ الإحالةِ في المقامِ/ لولم يُحِلِ الشَّاعرُ علَى الخَبرِ بعدَ اسمِ الإشارةِ لكانَ اسمُ الإشارةِ المُقدَّرِ هملًا لا قيمةَ له، معَ ما أفادته الإشارةُ من الربطِ بينَ عُنصُرَيِ الكلامِ المُشارِ والمُشارِ إليهِ إشارةً لطيفةً ترُدُّ بعضَ الكلامِ علَى بعضٍ.

● ثُمَّ ثَنَّى الشَّاعرُ بهذا البيتِ من القطعةِ نفسِها[٣٢]:

تَجُودُ بِكلِّ هطَّالٍ كفيلٍ لها في كلِّ يَومٍ بارتواءِ

---

(٣٠) التماسك النصي من خلال الإحالة والحذف ، دراسة تطبيقية في سورة البقرة ، محمد الأمين مصدق، رسالة ماجستير، كلية اللغة والأدب العربي والفنون جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، ٢٠١٤، ص٤٢ .

(٣١)ديوان جُهدِ المُقِل للشريف الغرناطي، ص ٢٧.

(٣٢)ديوان جُهدِ المُقِل للشريف الغرناطي، ص ٢٧.

موظِّفًا الإحالةَ المَقاليَّةَ في إبرازِ قيمةِ الآصرةِ التي جمعتْ بينَ هذا البيتِ والذي سبقَه كي لا يكونَ الكلامُ كبَعرِ الكِباشِ مُتناثرًا هنا وهُنالكَ.

فقولُه: (تجودُ) مُشتملٌ علَى ضميرٍ يعودُ علَى قولِه في البيتِ الذي سبقَه: (حدائقُ) بتقديرِ (هي تجودُ)، أنَّ الحدائقَ تجودُ بِما عساهُ يبعثُ فيها الحياةَ والنُّضرةَ ويُجدِّدُ لها الحيويَّةَ ممَّا نعتَه في البيتِ بقولِه: (هطَّالٍ)، وهذا نوعٌ مِن الإحالةِ المقاليَّةِ (القبْلِيَّةِ)؛ حيثُ كانَ مَعَادُ الضَّميرِ المُستترِ في الفعلِ (تجودُ) علَى الحدائقِ سابقةِ الذِّكرِ توصيفًا له، وتعيينًا للمرادِ بالإضمارِ.

وقد جاءَ التَّصويرُ الفنيُّ في البيتِ تابِعًا لتلكِ الإحالةِ مبنيًّا عليها؛ إذ لو لم يربطِ النَّاظِمُ بالضَّميرِ لكانَتِ الصُّورةُ أبعدَ غورًا من أن تجتمعَ في ذهنٍ مُتلقٍّ.

والأركانُ التي اعتمدَ عليها الشَّاعرُ في تلكَ الإحالةِ مُفصَّلةً علَى ذلك النَّحو:

المُحيلُ/ الضميرُ المُستترُ في الفعلِ (تجودُ) أي (تجودُ هي)

والمُحالُ إليهِ/ كلمةُ (حدائقُ) من البيتِ الذي سبقَ هذا البيتَ

والقرينةُ المُبِينةُ/ يعمدُ بعضُ الشُّعراءِ في نظمِهم إلَى اضطرارِ المُتلقِّين إلَى التَّفكُّرِ في شأنِ الآصرةِ التي تربطُ بينَ بعضِ الكلامِ وبعضٍ لا لإثارةِ حيرتِهم، بل لِمشاركتِه قضيَّةَ النَّظمِ، وهذا ما فعلَه الشَّاعرُ هنا باستثارةِ أذهانِ المُتلقِّينَ وتجرُّدِهم للبحثِ عن نوعِ الرابطةِ بينَ (حدائقُ) و (تجود).

عَملُ الإحالةِ ودَورُها/ وقد التجأ الشَّاعرُ إلَى الإحالةِ تبَعًا لِسُنَّةِ العَرَبِ في ما يُناظرُ ذلكَ من المَساقَاتِ رغبةً في الرَّبطِ بين مُقدَّمِ هذا البَيْتِ والبَيْتِ الذي سبقَهُ تفاديًا لتكرارِ كلمةِ (حدائقُ) بذاتِها في غيرِ حاجةٍ داعيةٍ إلَى ذلك التَّكرارِ، وطلبًا لِشَحذِ أذهانِ المُتلقِّينَ وحثِّهم علَى البَحثِ عن وسيلةِ الرَّبطِ بين البيتَيْنِ، والتَّفتيشِ عَن مرجعيَّةِ ذلك الضميرِ.. علامَ يعودُ، ولماذا..؟

- وقالَ عَلَى نغَمِ البسيطِ يتيمًا(٣٣)

يا مَن رَأَى النَّارَ إنْ تُطفَا مُخَالَفَةً فالبرّياحِ، وإن تُوقد فالبالماءِ

بدا طَرَفَا تلك الإحالةِ ظاهرَيْنِ، لا إضمارَ فيهما ولا تَقديرَ، وذلك ممَّا يمكِّنُ القارئَ مِن سُرعةِ وسهولةِ الحُصولِ علَى المقصدِ الذي نزعَ الشَّاعرُ إليه من خِلالِ استعمالِه تلكَ الإحالاتِ اللفظيَّةِ، فقد أحالَ النَّاظمُ هُنا مِنَ الاسمِ الموصولِ الدَّالِّ علَى جماعةِ العُقلاءِ (مَن) إلَى صِلتِه التي لا يُستغنَى بِه عنها (رأَى النَّارَ...إلخ) وتلك إحالةٌ (بَعدِيَّةٌ)، ثمَّ أحالَ مِن الضَّميرِ المُستترِ في كُلٍّ مِن الفِعلَيْنِ (تُطفَا) أي (تُطفَا هي)، و (تُوقَدُ) أي (تُوقَدُ هي) علَى الفِعلَيْنِ اللذَيْنِ استترا فيهما (تُطفَا) و (تُوقَدُ) وهذه إحالةٌ (قبليَّةٌ).

وجاءتْ أركانُ الإحالةِ الأُولَى مِن البيتِ علَى تلك الصُّورةِ:

(٣٣)ديوان جُهدِ المُقِل للشريف الغرناطي، ص ٢٨.

المُحيلُ/ الموصولُ الاسميُّ (مَنْ) بِما فيهِ من الدَّلالةِ القطعيَّةِ علَى رغبةِ توجيه الخِطابِ إلَى جماعةٍ مُعيَّنةٍ.

المُحالُ إليهِ/ جُملةُ الصِّلةِ (رَأَى النَّارَ إن تُطفَا...إلخ)

قرينةُ الإحالةِ/ ضرورةِ اشتمالِ جُملةِ الصِّلةِ علَى رُكنَيْها الأساسَينِ الاسمِ الموصولِ وصلتِه؛ إذ لا يستغني الاسمُ الموصولُ بنفسِه ولا يستقلُّ بذاتِه في الدَّلالةِ علَى فهمِ المقصودِ.

الغرَضُ مِنَ الإحالةِ/ وقد تقرَّرَ لدَى النَّحويِّينَ أنَّ العربَ استغنت عن تكرارِ الكلامِ بالموصولِ وصلتِه، كما أنَّهم جاؤوا بالموصولاتِ تيسيرًا عليهم للنعتِ بالجُمَلِ بديلًا مِن التَّطويلِ والمَطلِ، ولعلَّ هذا ما قضَى علَى النَّاظمِ باستعمالِ الموصولِ هُنا؛ لتحريزِ مقصدِه بلطفٍ وخفَّةٍ، مع طلبِ الإيجازِ والاختصارِ، ورغبةِ تعيينِ المُخاطبينَ بذلك الاسمِ المَوصولِ معَ صِلتِه .

بينما كانت أركانُ قيامِ الإحالةِ (القبليَّةِ) في الفِعلَيْنِ (تُطفَا) و (تُوقَدُ) علَى تلكَ الصُّورةِ:

المُحيلُ/ الضَّميرُ المُستَتِرُ في الفعلِ (تُطفَا) و(تُوقَدُ).

المُحالُ إليه/ لفظُ (النَّارِ) المُتقدِّمِ مِن قولِه : (يا مَن رَأَى النَّارَ...إلخ)؛ فعَودُ الضَّميرِ المُستَتِرِ في الفِعليْنِ عليهِ ومَرجِعُه إليهِ.

والعِلاقةُ المُؤطِّرةُ/ حاجةُ الضَّميرِ -بارزًا أو مُستَتِرًا- إلَى ما يعودُ إليهِ؛ فالضَّميرُ لا يُذكَرُ إلَّا ولَه مرجعٌ سبقَه يرتدُّ إليهِ كما هو مُقرَّرٌ في التَّقعيدِ النَّحويِّ، ما لم يكُن ضميرَ شأنٍ أوقِصَّةٍ.

الغرَضُ مِنَ الإحالةِ/ والذي منعَ مِن إبرازِ الضَّميرَينِ المُحيلَيْنِ هُنا تجذيرُ العلاقةِ بينَ النَّصِّ ومُتلَقِّيه من خلالِ رحلةِ البحثِ عن الرابطِ بينَ الفِعلَينِ و(النَّارِ)، واستبانةِ وتحديدِ نوعِ ذلكَ الرَّابطِ، والإمعانِ في نظرِ بقيَّةِ البيتَينِ والتَّدقيقِ فيهما لاستشفافِ ما قد يكونُ خافيًا كخفاءِ تلكِ الآصرةِ التي جمعت بينَ الفِعلَينِ (تُطفَا) و (تُوقَدُ)، علاوةً علَى رغبةِ الشّاعرِ في قطعِ الطَّريقِ علَى المُتلقِّينَ في أن يعتقدوا أنَّ معادَ الضَّميرَيْنِ علَى شيءٍ سوَى لفظِ (النَّارِ) المذكورِ في البيتِ نفسِه .

- وقالَ أيضًا مِن بحرِ البسيطِ مِن ديوانِه[٣٤] مُتغزِّلًا

غَزالُ أُنسٍ كمِ استَدنَيْتُه فنَأَى عَنِّي وأعرَضَ مُزْورًّا بِجَانِبِه

لِحيثُ أحالَ مِن الضَّميرِ المُستَتِرِ المُقدَّرِ في هذا المساقِ بِـ (هو) الواقعِ مُبتدإٍ إلى خبرِه الذي عبَّرَ عنه بقولِه: (غزالُ أُنسٍ) علَى سبيلِ التَّغزُّلِ في محبُوبِه.

وكانَ تقديرُ المبتدإِ المحذوفِ بالضَّميرِ (هُو) أليقَ بالمقامِ وألصقَ بِفحوَى الخِطابِ؛

(٣٤)ديوان جُهدِ المُقِل للشريف الغرناطي، ص ٣٢.

ذلكَ أنَّ الشَّاعرَ تَغزَّلَ في مَحبوبٍ يسعَى إلَى استدنائِه مِنه وهو يُعرِضُ ويتولَّى عنه؛ فالمقامُ مقامُ غيبةٍ لا إشارةٍ، بِما يَوحي بِه الفِعلُ (استدنيتُه) والفعلُ (نأَى) من دلالةِ الإعراضِ المُوجبةِ لِتَغَيُّبِ المُخاطَبِ بقولِه: "غَزالُ أُنسٍ كَمِ استَدنَيتُه فَنأَى" أي (هُو غزالُ أُنسٍ...)، وإنَّ الاحتكامَ إلَى الصَّنعةِ النَّحويَّةِ أحيانًا يُعِينُ علَى استيضاحِ الدِّلالاتِ الخافيةِ في بطونِ النُّصوصِ، وهذا ما أملَى علينَا الحُكمَ بتقديرِ الربطِ لضميرِ الغائبِ المُفردِ المُذكَّرِ لا بأيٍّ مِن أسماءِ الإشارةِ، وتلكَ صُورةٌ مِن صُورِ الإحالةِ (البَعديَّةِ).

وفصلُ القَولِ في أركانِ تلكَ الإحالةِ كالذي يلي:

المُحيلُ/ الضميرُ المُستَتِرُ الواقعُ مبتدَأً بتقديرِ: (هو غزالٌ...إلخ) وقد نبَّهتُ علَى سببِ تقديرِه ضميرًا هُنا، لِملاءمةِ مقامِ الخِطابِ.

المُحالُ إليهِ/ الخبرُ المذكورُ في البيتِ (غزالُ أُنسٍ...)، ولا حاجةَ لَنا في تعليقِ (غزالُ أُنسٍ) بما يليهِ؛ فالمعنَى تامٌّ بِدونِه، فجملةُ المبتدإِ المحذوفِ والخبرِ جملةٌ تامَّةٌ لا حاجةَ لَها بما بعدَها.

قرينةُ الإحالةِ/ والقرينةُ التي قادتنا إلَى الحُكمِ بوجودِ الإحالةِ المقاليّةِ هُنا هي فواتُ المعنَى بغيرِها، وعدمُ التحامِ جُزئَيِ الكلامِ بغيرِ تقديرٍ مترتِّبٍ علَى الحذفِ الذي قضينا بِه في المُبتَدَإِ.

الغرضُ مِن الإحالةِ هُنا/ من المعلومِ أنَّ مِن أهمِّ ما توظَّفُ فيهِ الضَّمائرُ في العربيَّةِ الرَّبطُ بينَ أجزاءِ الكلامِ، وهذا ما وقعَ في نصِّ هذا البيتِ؛ إلَّا أنَّه ليسَ سببًا رئيسًا في استعمالِ الضَّميرِ لاسيَّما أنَّ الضميرَ جاءَ مُبتَدَأً بِه، والعلَّةُ الحقيقيَّةُ والأصيلةُ هي التنبيهُ علَى أنَّ النَّاظمَ معَ ما يبذلُه من جهودٍ حثيثةٍ في سبيلِ استرضاءِ واستدناءِ محبوبِه إلَّا أنَّه لا يَجِدُ منهُ إلَّا الصُّدُودَ والتَّغيُّبَ؛ فكانَ الابتداءُ بِضَمِيرِ الغيبةِ أدلَّ علَى مُرادِ الشَّاعرِ في ذلكَ الصَّددِ.

- وقالَ علَى نغمِ الكاملِ يصفُ شامةً في خدِّ محبوبِه مِن دِيوانِه[٣٥]:

مَـــــن مُـــبَلِّغُ الــرَّشا الَّذي ما عنْهُ لي صـــبرٌ ولا لِـــي عَن سِواهُ بَراحُ
ما لاحَ خـــدُّكَ والــسَّوادُ شِـــــعَارُه إلَّا انثَنَيتُ ودَمـــعِيَ الـــشَّفَّاحُ

قد نعَتَ هُنا الشَّاعرُ (الرَّشا) وهو منعوتٌ مُفردٌ بِـ(الذي ما عنهُ لي...إلخ) الاسمِ الموصولِ وصلتِه، وهو في حُكمِ الجُملةِ التَّامَّةِ المُستغنيةِ بنفسِها عمَّا سواهَا تقديرًا، وقَولُنا: تقديراً ذلكَ أنَّ جُملةَ الصِّلةِ لا تقعُ إلَّا تابعةً في الحُكمِ لاسمٍ سابقٍ عليها تُلابِسُه وتُتمِّمُ مقصدَه، وقد وظَّفَ الشَّاعرُ تلكَ الإحالةَ بالاسمِ الموصولِ (الَّذي) معَ صِلتِهِ لِيُحيلَ مِن (الذَي...إلخ) علَى (الرَّشا) علَى سبيلِ الإحالةِ (القبليَّةِ) لنعتِ (الرَّشا) بما لا يتسنَّى لَه نعتُه بِه مِن الجُملِ إلَّا بواسطةِ الموصوليَّةِ.

(٣٥)ديوان جُهدِ المُقِل للشريف الغرناطي، ص ٣٧.

فتمَّ لهُ مضونُ ما أرادَ من خلالِ :

المُحيلِ/ الاسمِ الموصولِ معَ صلتِه (الذَي..إلخ)

المُحالِ إليهِ/ لفظُ (الرَّشا)

قرينةِ الإحالةِ/ افتقارُ المعنَى إلَى ما يتمُّ بهِ المُرادُ جعلَ من النَّصّ فارغًا من محتواهُ قبلَ دغولِ الاسمِ الموصولِ فيهِ، هذا الافتقارُ الذي جعلَ مِن الاسمِ الموصولِ وصلتِهِ من الدَّوالِّ اللُّغويةِ التي لها كبيرُ نفعٍ في لإبرازِ مُرادِ النَّاظمِ من قولِه: "الَّذي ما عنهُ لِي صبرٌ...إلخ"

الغرضُ مِن تلكَ الإحالةِ/ تضمينُ جُملةِ الصّلةِ النَّعتَ الَّذي لولاها ما استطاعَ النَّاظمُ وُلُوجَ أبوابِ نعتِ الأسماءِ المُفردةِ بالجُملِ التَّانمَّةِ التي منِ شأنِها تأديةُ الغرضِ علَى الوجهِ الذي يطلبِه.

وتتميمُ معاني بناءِ العبارةِ إلَى الحدِّ الذي لا يتركُ فيهِ مجالًا للمُتلقِّي لاستشعارِ عوارضِ النَّقصِ التي تدفعُه إلَى البَحثِ عمَّا يُتمِّمُ بِه المعنَى .

وترميمُ أجزاءِ الكلامِ بِما يضعُ حدودًا مُؤطِّرةً لعلاقةِ كلِّ نصٍّ علَى استقلالِه بسابقِه ولاحقِه؛ ممَّا يُحكَمُ معَه علَى النَّصّ بالتَّماسُكِ والتَّعاضُدِ.

ثمَّ راحَ تتميمًا لذلكَ العنى الذي أرادَه مِن النَّصّ يَحيلُ مِن ضميرِ المُفردِ الغائبِ في (شِعَارُه) علَى (خــدُّكَ) مِن قولِه: "ما لاحَ خدَّكَ والسَّوادُ شِعَارُه...إلخ" علَى سبيلِ الإحالةِ اللفظيَّةِ المقاليَّةِ (القبليَّةِ) عامدًا إلَى الربطِ بينَ (الشِّعارِ) الذي يُمثِّلُ في اللغةِ العلامةَ البارزةَ الدلالةِ بوثلِه بضميرِ المُحالِ إليهِ (خدُّكَ) و(الخدَّ) الذي سعَى إلَى تحميلِه المعنى المُرادِ: وهو انميازُه وانفرادُه عن غيرِه بتلكَ الشَّامةِ السَّوداءِ التي تلوحُ في بياضِه ما يحملُه علَى الانثناءِ والبكاءِ.

وأركانُ تلكَ الإحالةِ علَى ما هو بيّنٌ :

المحيلُ/ كما يبدو في تمظهراتِ تلك الإحالةِ أنَّ مُنعَقَدَها ضميرُ الغيبةِ

المُحالُ إليهِ/ وهو الاسمُ الظَّاهرُ المُضافُ إلَى كافِ الخِطابِ الذي يعودُ عليهِ الضَّميرُ (خَدُّكَ)

قرينةُ الإحالةِ/ ليسَ أقدرَ علَى الرَّبطِ بينَ العاملِ والمعمولِ في العربيَّةِ من الضَّمائرِ؛ لتخصيصِها المقصودَ مِن غيرِ حاجةٍ إلَى بحثٍ عنهُ، ولذا كانت قرينةُ الربطِ بينَ (الشِّعارِ) و (الخدِّ) هُنا في قولِ الشَّاعرِ:

"ما لاحَ خَدُّكَ والسَّوادُ شِعارُه...إلخ" هي الضَّميرَ.

الغرضُ من الإحالةِ/ تخصيصُ خدِّ المحبوبِ بذلكَ الشِّعارِ الذي ينمازُ بِه عن غيرِه، والربطِ بينَ كلٍّ مِن الشعارِ والخدِّ بعودِ ضميرِ الغيبةِ عليهِ مفردًا للدلالةِ علَى التخصيصِ، مُذكَّرًا للدلالةِ علَى الرمزيةِ، وتعيينُ محلِّ الامتداحِ بإرجاعِ الضميرِ عليهِ؛ فلا يسبقُ الذِّهنُ إلَى أنَّ غيرَه هة المقصودُ.

ويقولُ في موضعٍ آخرَ مِن ديوانِه[٣٦]علَى نغمِ البحرِ البَسيطِ:

لَيلٌ ولَيلٌ؛ فَفرعٌ وارفٌ ودُجَى طَالا فَوَاحَـزَنِي مِـــمَّا أُكابِدُهُ

شَاهدتُ فِي ذاكَ بَدرًا لَا أهيمُ بِه وهِمتُ فِي ذا بِبَدرٍ لَا أُشَاهِدُهُ

في ذَيْنِ البَيْتَيْنِ لَونٌ مِن الإحالاتِ اللُّغَويَّةِ النَّصيَّةِ يرجعُ الفضلُ الأعظمُ في تمامِ جماليَّةِ التَّصويرِ البلاغيّ إليها، وإنَّما المعنيُّ بالإحالةِ -عندَ النَّظرِ- إبرازُ ما حقَّقتْه مِن الرَّوابطِ والانسجامِ بينَ أجزاءِ النَّصّ بالدَّرجةِ الأُولَى، ولكنَّ الصُّورةَ هُنا اختلفتْ فليلًا فَأَربَى الغَرضُ مِن الإحالةِ علَى ما هو معهودٌ إلَى تقريرِ معنًى جديدٍ ينضافُ إلَى طلبِ التَّناسُجِ بِها، ولتوضيحِ ذلكَ نعَمَدُ إلَى تحليلِ البيْتَيْنِ وفْقَ منهجِ الأَسْلُسُنيَّةِ النَّصيَّةِ؛ وقد لُوحِظَ أنَّ الشَّاعرَ بدأَ البيتَ الأوَّلَ بمُتعاطِفَيْنِ: (لَيلٌ، ولَيلٌ) هما في الأصلِ اسمٌ واحدٌ ولكنَّه لِمُسَمَّيَيْنِ مُختلِفَينِ؛ فالليلُ الأوَّلُ أشبَه الفرعَ الوارفَ النَّيِّرَ، والليلُ الثَّاني هُوَ عينُ الظُّلمةِ وذاتُها، تلكَ هي الصُّورةُ التي تفرَّعتْ علَى نوعِ الإحالةِ في النّصّ، بينما مضمونُ الإحالةِ فمُتَمَثِّلٌ في إحالةِ الشَّاعرِ اسمَ الإشارةِ (ذاكَ) علَى الليلِ الأوَّلِ الذي يرَى فيهِ البدرَ الساطِعَ الذي لا يعنيهِ في شيءٍ؛ فلذا لم يَهِم بِه، فكانت قضيَّةُ ال؛الةِ في ذلكَ التركيبِ بينَ المُحيلِ اسمِ الإشارةِ (ذاكَ) والمُحالِ إليهِ المُشارِ إليهِ السَّابقِ (ليلٌ) الأُولَى.

والليلُ الثَّاني المعطوفُ هو الدَّجي المُظلِمُ الذي لم يبدُ له فيهِ البدرُ الذي يطلبُه ويرغبُ في مشاهدتِه، وذلك وفقَ قولِه: " وهِمتُ فِي ذا بِبَدرٍ لَا أُشَاهِدُهُ" علَى أنْ تكونَ الإحالةُ فيهِ بينَ عُنصُرَيْها: المُحيلِ اسمِ الإشارةِ (ذا) والمُحالِ إليهِ المُشارِ إليهِ (ليلٌ) الثَّانيةِ، لِيُنتِجَ بمجموعِ الإحالَتَيْنِ نمطًا تصويريًّا بلاغيًّا فريدًا جاءَ مترتِّبًا علَى تَيْنِ الإحَالَتَيْنِ (القبلِيَّتَيْنِ) .

ومِمَّا ليسَ يخفَى أنَّ القرينةَ الجامعةَ لاستعمالِ الإحالَتَيْنِ واحدةٌ، تمثَّلَها النَّاظمُ باسمِ الإشارةِ مُعبِّرًا عنه تارةً بِـ(ذاكَ) وأُخرَى بِـ(ذا) وكِلاهما واحدٌ في التَّوظيفِ بزيادةٍ يسيرةٍ في دلالةِ (ذَاكَ) علَى (ذا) بانضمامِ الكافِ الدَّالةِ علَى الخِطابِ في (ذَاكَ)، وتلكَ وظيفةٌ نَحويَّةٌ لا مجالَ للإفاضةِ فيها هُناوقد جعلَ الشَّاعرُ مِن اسمِ الإشارةِ وما يُشارُ إليهِ بِهِ في كلا الإحالَتَيْنِ مَطيَّةً يبلغُ القارئُ علَى متنِها المُرادَ مِن كلٍّ مِن اسمَيِ الإشارةِ كلٍّ علَى حِدَتِه، فهما وإنِ اتَّفقَا في الدَّلالةِ اللُّغَويَّةِ والصَّنعةِ ال؛َّحويَّةِ، إلا أنَّهما تغايرا في مساقِ التَّوظيفِ والاستعمالِ، والإحالةُ هي ما دفعتْ إلَى حدوثِ ذلكَ التَّغايُرِ، فالإشارةُ باسمِ الإشارةِ (ذَاكَ) كانت إلَى (ليلٌ) الأُولَى التي عَنَى بِها الشَّاعرُ الليلَ البهيَّ الوضيءَ الذي لم يَؤُمَّ طريقَ بدرِه ولم يقصد رؤيةَ قمرِه، على حينِ كانت الإشارةُ باسمِ الإشارةِ (ذا) إلَى كلمةِ (ليلٌ) الثَّانيةِ التي عَنَى بِها الشَّاعرُ الليلَ الذي كان يستهدفُ رؤيةَ بدرِه، غيرَ أنَّ حظَّه لم يُمكِّنْه مِن مشاهدتِه.

(٣٦) ديوان جُهدِ المُقِل للشريف الغرناطي، ص ٣٨.

والخُلاصةُ: أنَّ المُحيلَ في تلكَ الصُّورةِ اسما الإشارةِ (ذَاكَ) و (ذا).
والمُحالَ إليهِ (ليلٌ) الأُولَى، و(ليلٌ) الثَّانيةُ.
والغَرضُ مِن تلكَ الإحالةِ/ الربطُ بينَ كلِّ مِن اسمِ الإشارةِ والمُشارِ إليهِ علَى الهيئةِ التي تضبطُ عَودَ كلِّ اسمٍ إلَى مُسمَّاهُ، وتعيينُ كلِّ مُشارٍ إليهِ بحدِّه وقدِّه مِن غيرِ التباسٍ بينهما؛ إذ لو وقعَ الالتباسُ لاختلَّ المعنى، وتمكينُ مغازي النصِّ في ذِهنِ مُتلقِّيهِ فلا يحيدُ عنها ولا ينفصلُ منها إلَّا للارتدادِ إليها.

ومِن بالغيَّةِ الربطِ والتأطيرِ في هذا النَّصِّ أنَّ النَّاظمَ قد جعلَ كُلًّا مِن اسمَيِ الإشارةِ في بيتٍ، والمُشارِ إليهما بِهما في بيتٍ سواهُ؛ فقد وقعَ المُشارُ إليهِ (ليلٌ، وليلٌ) في البيتِ الأوَّلِ مِن االمُقطَّعةِ الشِّعريَّةِ، واسما الإشارةِ معًا (ذاكَ) و (ذا) في البيتِ الذي يليهِ، فاحتاجَ المُتلقِّي معَ ذلكَ إلَى يقظةٍ ذِهنيَّةٍ ومَلَكَةٍ لُغَويَّةٍ قويَّةٍ تُعينُه علَى تحديدِ توجُّهِ كُلِّ اسمٍ مِن اسمَيِ الإشارةِ بإرجاعِه إلَى المُشارِ إليهِ بِه عيْنَه .

الخَاتِمةُ

هذا، وقد كانَ مَقامُ البحثِ يتَّسعُ لِأكثرَ مِمَّا تمَّ بلُوغُه مِن نتائجَ تَرصُدُ أهميَّةَ تَوظيفاتِ الإحالةَ بِنَوعَيْها: (المقالِيَّةِ، والمَقاميَّةِ)، وتُحَدِّثُ بأثرِها في اتِّساقِ أبنيةِ النَّصِّ وانسجامِ أجزائِه بعضِها معَ بعضٍ، إلَّا أنَّي وجدت الاتِّساعَ مُفضيًا إلَى الإكثارِ من ذِكرِ المفاهيمِ والاصطلاحاتِ الخارجةِ عن دائرةِ اهتمامِ تلكَ الأُطروحةِ؛ ولذا جاءَ البحثُ مقتصِرًا علَى ما لمْ نَجِد بُدًّا مِن التَّوَقُّفِ علَى التَّأليفِ فِيهِ إسهامًا مِنَّا في إغناءِ السَّاحةِ النَّقديَّةِ بما لا غِنى لباحثٍ أو دارسٍ عنهُ.

وحيثُ قد بلغْت حدَّ النِّهايةِ، إليكم أهمَّ ما تمَّ تحصيلُه فِي تلكَ الدِّراسةِ المُوجَزَةِ مِن نتائجِ العملِ عليها بفَصِّها ونَصِّها، وذلكَ وَفْقَ ترتيبِ نزولِها مَنازِلَها مِن الطَّرحِ:

وقد جاءَ مُحتوَى الدَّرسِ النَّقديِّ في هذا البَحثِ مُضمَّنًا:

١) تأطيرًا عامًّا يُظهِرُ أبرزَ مُؤثِّراتِ الإحالةِ النَّصيَّةِ في أجزاءِ النصِّ المُتفاوتةِ، ويرمِي إلَى الحُكمِ علَى النصِّ مِن خلالِها.
٢) تقديمًا يهدفُ إلَى ذِكرِ المنهجِ المُتَّبعِ في تحليلِ نصوصِ تلكَ الدِّراسةِ، ويُجذِّرُ لأُصولِها التَّاريخيَّةِ ومرجعياتِها التي اسْتَقَتْ مِنها مَفَاهِيمَها، وسُبُلَ إمالِها فِي النَّصِّ.
٣) تَأطيرًا نظريًّا لِمفهومِ اللسانيات الحديثةِ، ونشأتِها، وأبرزِ أعلامِها، وتعريفًا مُوجَزًا بصاحبِ الدِّيوانِ محلِّ التَّحليلِ، نسبِه، حياتِه، عصرِه، شِعرِه.
٤) مبحثًا تحليليًّا لجماعةِ النُّصوصِ المُختارةِ مِن دِيوانِ (الشَّريفِ الغرناطيِّ) مُتَّخذًا في سبيلِ تحليلِ تلكَ النُّصوصِ الدرسَ اللسانيَّ الحَداثِيَّ منهجًا راميًا إلَى تطبيقِ الأحكامِ التَّنظيريَّةِ المُتعلِّقةِ بِالإحالةِ عليها؛ مُبرزًا تمظهراتِ ذلكَ المنهجِ مِن خلالِ تقسِماتِ الإحالةِ إلَى: (مقاليَّةٍ قبليَّةٍ، ومقاليَّةٍ بَعدِيَّةٍ) بِحَسَبِ وُرُودِها في النُّصوصِ المُختارةِ للتَّحليلِ، لا بترتيبٍ مُزمَعٍ مِنِّي.

ثبت المصادر والمراجع (٣٧)

أولًا: القرآن الكريم.

ثانيًا: الحديث النبوي الشريف

ثالثًا: المصادر وكتب التراث القديمة ودواوين الشعراء

١. **الإحاطة في أخبار غرناطة"** لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ط. مكتبة الخانجي القاهرة، الثانية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٢. **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**: أحمد المقري التلمساني: تحقيق: مصطفي السقا، وإبراهيم الإبياري وعبدالحفيظ شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، والقاهرة، ١٩٤٢م.

٣. **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، لابن حجر العسقلاني، دار الجيل: بيروت، ١٩٩٣م.

٤. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، شركة القدس، مطبعة المدني، بمصر، ط٣، ١٩٩٢م.

٥. ديوان جُهدِ المُقِل للشريف الغرناطي(٦٩٧-٧٦٠هـ) صنعه، د. أيمن محمد ميدان، أستاذ بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مؤسسة جائزة مركز البابطين، الطبعة الأولى، دار الوفاء.

٦. **الروض المعطار في خبر الأقطار**، لمحمد عبدالمنعم الحِمْيري، تحقيق: د. إحسان عبّاس، مكتبة لبنان، ط٢، ١٩٨٤م.

٧. شرح المفصل، موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي (ت٦٤٣هـ)، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه د. اميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠٠١م.

٨. كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(ت١٨٠هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م.

٩. **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، لأحمد المقري، تحقيق: الأستاذ محمد محى الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة، ط ١، ١٩٤٩م.

رابعًا المراجع العلمية

١. أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية (تأسيس نحو النص)، محمد الشاوش، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط١٤٢١،١هـ - ٢٠٠١م.

٢. تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، د. محمد مفتاح، المركز الثقافي

(٣٧) تم ترتيب المصادر والمراجع ترتيبًا هجائيًا بالنظر إلى اسم الكتاب والمؤلف.

العربي، الدار البيضاء – المغرب، ط٣، ١٩٩٢م.
٣. دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، سعيد بحيري، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط١ ، ٢٠٠٥م.
٤. علم لغة النص - المفاهيم والاتجاهات، د. سعيد حسن بحيري، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، القاهرة، ط١، ١٩٩٧.
٥. علم لغة النص (النظرية والتطبيق)، د. عزة شبل محمد، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.
٦. في نظرية الأدب وعلم النص (بحوث وقراءات)، إبراهيم خليل، الدار العربية للعلوم -ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.
٧. لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط٢، ٢٠٠٦.
٨. اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسّان، دار الثقافة، ١٩٩٤م.
٩. نحو النص (اتجاه جديد في الدرس النحوي)،د. أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.
١٠. نسيج النص (بحث فيما يكون الملفوظ فيه نصاً، الأزهر الزناد، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٣م.
١١. النص والخطاب والإجراء: روبرت دي بوجراند، ترجمة : د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

خامسًا البحوث المنشورة في الدوريات والمجلات:

١. الإحالة بالضمائر ودوها في تحقيق الترابط في النص القرآني، دراسة وصفية تحليلية، نائل محمد إسماعيل، مجلة جامعة الأزهر بغزة، مج ١٣ ،ع١ ، ٢٠١١م.